٤ ـ على محمود طه

شاعر الفن والجمال

للأستاذ دريني خشبة

مما يأخذه بعض أصدقائنا الشعراء على زميلهم على محمود طه الذى يُكبرهم ويعزهم ويعرف لكل منهم قدره حرصه على « تزويق ا » دواوينه بهذه الصور الملونة وغير الملونة ، وتلك الرسوم التى يوحيها إلى الفنان بيت أو أبيات من شعره فيمثل فيها فكرة أو خيالاً من أخيلة الشاعر المتمردة أو ... المتجردة !

فأما مايسمونه « تزويقاً » فأنا أعده تجنياً منهم على زميلهم ، لأن إبراز مؤلفاتنا على هذا النسق الذى يربّى أذواق القراء بما يمتزج فيه من خيال الشاعر ودقة الفنان ، وما يتساند فيه من البيان الناصع وتأثير الألوان ... هو عمل يسد فراغاً موحشاً فى طباعتنا العربية ، وكان الأولى أن نستزيد منه لا أن نصرف المؤلفين والفنانين عنه . إلا أن المغالاة فى إبراز المعانى التى تجول فى روع الشاعر والمبالغة فى تصويرها على هذا النحو الذى صورت به فى « أشباح وأرواح » مثلاً ، هو الجدير بالملاحظة ، وهو ما يجب التنبيه إلى خطره على نفوس الشباب الغضة ، وقلوبهم الرطبة ؛ فلقد كان الفن اليونانى فناً وثنياً ، وكان الفنانون اليونانيون مع ذلك يحرصون على إبراز دقائق الجمال الجسمانى من جميع نواحيه التى تتصل بفضائلهم الثالية متجنبين النواحى التى تغازل غرائز الإنسان الدنيا ، والأوضاع التى تُلمع إلى مغازلة هذه الغرائز ، وهاهى تماثيلهم وتصاويرهم على (الأمفورات) الشائقة والجرار الجميلة وأفاريز المعابد والدور العامة لا ترى بينها شيئاً يدنّى إلى مغازلة الغرائز الدنيا مطلقاً ... بل هذا تمثال أفروديت ميلوس الذى ينبض كل عضو من أعضائه وكل عضلة من عضلاته بأسمى ألوان الجمال الحى ، لا يملأ عين رائيه إلا بروعة الفضائل العليا للجمال الخالص ، مع أن أفروديت فى الميثولوجيا اليونانية — ڤينوس — هى ميدان العواطف الملتهبة والغرائز الجياشة ، ومعظم الأساطير التى روبت عنها تمثل « العاصفة » فى الحب الآثم ؛ ومع ذلك لم يفكر فنان يونانى فى نحت تمثال لربة الجمال والحب يودع فيه أسرار ڤينوس إلا رَمْزاً ، ولم يحاول أحدهم كشف هذه الأسرار قط . جميل جداً أن يستعين الأدب بالفن وأن يستعين الفن بالأدب فى أن يجلو أحدهما الآخر ، وأن يُبرز أحدهما للآخر تلك الدقائق التى لا يغنى فى إبرازها التمثال أو الصورة إذا كان لا غناء عن القلم ، أو القلم إذا كان لا غناء عن التمثال أو الصورة ... والأجمل من ذلك أن يكون هذا التعاون فى ناحية الخير الذى يرتقى بالغرائز ، لا فى ناحية الشر الذى يسفل بها . وإذا كان فنانو اليونان الوثنيون قد أخذوا أنفسهم بتلك التقاليد الصارمة فى فنهم عند ما كان يتصل بأخلاق القوة ، فأحرى بفنانينا أن يلقوا بالهم إلى ذلك فى كل ما يمنحون به نهضتنا الفنية التى لن تستطيع أن تتجاهل أنها تنمو فى كنف

وإذا سلب متقدمون أخاه السموءل المسكين (لاميته) :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

كلها أو جلها أو بعضها على اشتهار نسبتها إليه ، وأعطوها دُكينا الراجز[1] ، وعبد الملك بن الرحيم الحارثى[2] ، وعبد الله ابن عبد الرحمن أو الرحيم الأزدى[3] ، ولحلاحا الحارثى[4] وشريحا بن السموءل[5] ، وقالوا ما قالوه ، فمن النصفة ـ إن كان فى الدنيا إنصاف ـ ألاّ يحرم شمية (لا ميته) هذه ، حسبه رزء أخيه

وروى الإمام المرزبانى فى (معجم الشعراء) لشمية مقطوعة ختامها هذا البيت :

واجتنب القاذع حيث كانت واترك ما هوبتُ لما خشيتُ

« ناقد »

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة
(٢) شرح الحماسة للتبريزى وأخبار أبى تمام للصولى
(٣) اللآلئ فى شرح الأمالى لأبى عبيد البكرى
(٤) و (٥) العلامة عبد العزيز الميمنى فى حواشيه فى شرح الأمالى وقد ذكر المظنة . وهذا الفضل هو الذى أظهر (شرح الأمالى) محققاً وطبعته لجنة الترجمة والتأليف والنشر .

أعظم ديانتين على وجه الأرض ، لافى كنف الوثنية اليونانية مثلاً !..

فلا بد إذن من (مؤاخذة) شاعرنا الفنان الوهوب على هذا ، لأن شعره العالى الجميل المصقول لم يكن بحاجة إلى هذا اللون من الفن (المكشوف) ليجلو منه شيئاً ، وإن كان لا بد من تعاون بين شعره هذا العالى الجميل المصقول وبين الفن ، فقد كان أحجى أن يتم هذا التعاون على منوال آخر يعرفه شاعرنا الرقيق النابه ولا يجهله ، كما يعرفه الفنان الذى كان سبب لومنا هذا ولا يجهله أيضاً . وأخشى أن تكون ثمة علاقة بين الفن المصور والفن المكتوب « فى أشباح وأرواح » التى لم يكتب هذا المقال فى نقدها ، وأخشى أن يكون لقب « شاعر اللذة والجمال » الذى يضفيه أستاذنا الزيات على شاعرنا الرقيق النابه ، والذى وضعه بيده فى رأس مقالنا السابق ، يعنى من اللذة والجمال شيئاً غير الذى نعرفه ويعرفه أستاذنا الزيات وشاعرنا على محمود طه من اللذة البريئة ... لذة الطهر ... اللذة التى لا تثور بعرف ولا تعصف بخلق ... ويحلو لى جداً بهذه المناسبة ، أن أدافع عن الشاعر الكبير بكلامه هو ، لا بكلامى أنا ، وما يعرفه هو ، لا ما أعرفه أنا ، عن اللذة الآثمة ، « التى دفعت إليها تايس شاعر (أرواح وأشباح) فلم يلبث أن أفاق منها ، وقد رأى مدى انهيار روحه وفنه[1] »

فهذه كلمات قدم بها الشاعر لمقطوعة جيدة يقول فى أولها

ولفت ذراعين كالحيتين ... على وبى نشوة لم تطر
وقد قربت فمها من فمى ... كشفتين من قبس مستعر
أشم بأنفاسها رغبة ... ويهتف بى جنها المستعر
تبينت فى صدرها مصرعى ... وآخرة العاشق المنتحر

ويختمها بقوله .

دعينى حواء ، أو فابعدى ... دعينى إلى غايتى أنطلق
أخمر ونار ؟ لقد ضاق بى ... كيانى وأوشك أن أختنق

(١) أرواح وأشباح ص ٢٦

أرى ما أرى ؟ لهباً ؟ بل أشم ... رائحة الجسد المحترق
فيالك أفعى تشهيتها ... ويالى من أفعوان نزق !!!

فاعتراف الشاعر الناظم فى المقدمة المنثورة بانهيار روح شاعر الملحمة وانهيار فنه ، لأن تايس قد دفعته إلى اللذة الآثمة ثم اعترافه فى المنظومة بأنه تبين فى صدرها مصرعه — وآخرة العاشق المنتحر ؛ وأن حواء أفعى تشهاها أفعوان نزق ... كل هذا ينفى عن على محمود طه ، الشاعر الرقيق النابه ، ذهابه مذهب اللذة ، وأعنى اللذة الآثمة . . . ولله شاعرنا حيث يقول فى الكرمة الأولى :[1]

صهباء ما كانت من غرس إبليس
بل كرمة زانت خلق الفراديس
تسمو بها الأرواح عن عالم الإثم
شفافة الأقداح فى رقة الحلم

فهل رأيت الخمر التى تسمو بها الأرواح عن عالم الإثم ؟ رحم الله ابن الفارض الذى يقول :

وقالوا شربت الإثم قلت لهم بلى
شربت التى فى تركها عندى الإثم

فتلك لذة على محمود طه التى لا تعرف الإثم والتى لا تعرف إلا الطهر . ... الخمر التى يقول فيها :

خمرة ما قبلت غير شفاه الأنبياء[2]
خمرة فى الغيب كانت قطرات من ضياء
ختمت بالشفق الوردى فى أصفى إناء
جبلت فخارتاه من صفاء ونقاء

لشد ما أكره أن يلقب شاعرنا الرقيق النابه بشاعر اللذة ! وما أحب أن ندعوه جميعاً إلا : بشاعر الفن والجمال !

* * *

لست أدرى لماذا لا أنتهى من هذا الثناء الطويل على الشاعر على محمود طه لأفرغ إلى جانبه الآخر .. الجانب الجدير بالنقد ..

(١) زهر وخمر ص ٣٠
(٢) زهر وخمر ص ٣١

أو الجانب المظلم الذى لا يتراءى فى جانب غيره للكثيرين ممن حاوروني فيه ... أولئك الذين يظنون أن على محمود طه لا يملك كتفين عريضتين قويتين تحتملان النقد ، ما خف منه وما ثقل ، وما جاء منه ممن يفهمون وممن لا يفهمون ، وما صدر منه عن إعجاب بالشاعر ومحبة له ، وما صدر منه عن موجدة عليه وضيق به

ولست أدرى لماذا لا أصارح أصدقائى الشعراء خاصة ، وأصدقائى القراء عامة ، بأن « الهدم المطلق » ليس من مذهبى ، بل ليس من النقد فى شىء أن نظلم الأديب من الأدباء ، أو الشاعر من الشعراء ، فى تسعة أعشار إنتاجه ، لأن العشر الباقى لا يرضيك ، أو لأنك لا (تستظرفه) هذا الأديب من الأدباء ، أو ذلك الشاعر من الشعراء ؛ فهذا اللون من النقد هو الذى يصدر عن هوى لا يعرف العدالة ولا يعرف الانصاف ولا يعرف الفطنة . والمؤلم فى هذا كله أنه يصدر عن قراءة سطحية للأديب أو الشاعر ... قراءة خاطفة ... لا تعدو مقالة أو قصيدة فى مقهى أو فى ترام

وللحديث فى هذا الموضوع ظرفه الخاص .. إنما هى إشارة « خاطفة » تشغلنى عنها هذه الفاتن التى عرفتها فى شعر على محمود طه منذ أخذت أقرأ شعره

ومفاتن شعره تأتى من ناحية الشكل ومن ناحية الموضوع . فمن ناحية الشكل ، تروقنى منه تلك القوافى المتخيرة الشائقة التى تدل على ذوق مرهف فنان ، ومزاج موسيقى مفتون بالغناء مولع بالألوان . فهو إذا اختار أن يقول من قافية واحدة اختار القوافى الراقصة التى تميس فيها الكلمات وتتلألأ ... وتكاد تغنى ... وتستطيع أن تتناول دواوينه كلها وتقرأ منها ما شئت ، فلن تجد قافية عليلة أو قافية ثقيلة ، أو قافية تنبو فى سمعك أو تستأذن على هذا السمع . وعلى محمود طه نفحة فى هذه الناحية من شاعرنا الخالد شوقى أمير الشعراء عليه رحمة الله .. فإذا اختار أن يقول فى المنظومة الواحدة من قوافٍ عدة ، وجدت موهبته فى ذلك تتدفق . . كدت أقول تتبرج .. فهو يتنقل بك ، كما يتنقل بك الموسيقى العبقرى من لحن إلى لحن ، ومن نغمة إلى أخرى ، من غير أن يصدم سمعك ، أو ينبو على ذوقك . والعجيب أنه يجيد هذا التنقل فى منظوماته القصيرة وفى منظوماته الطويلة على السواء . وقد أجاد بوجه خاص فى درامته الرائعة « أغنية الرياح الأربع » وكأنما كان يعنينى من دون الناس جميعاً بتجويده قوافيه حينما كنت أقف وحدى فى الشاطئ الآخر ، داعياً جهدى إلى استعمال الشعر المرسل فى الدرامة المنظومة ، تلك الدعوة التى أستمسك بها وأصر عليها ، بالرغم من هذى القوافى المذهبة التى يهر بها على محمود طه ألباب قرائه ، ولبى الفقير فى مقدمة هذه الألباب !

(للحديث بقية)

دميانة غنيمة

إلى هواة المغناطيسية

وإلى المصابين بالاضطرابات العصبية

ترسل تعليمات مجانية من شرح طرق وتدريبات تعلمك كيف تتخلص من الخوف والوهم والخجل والكآبة والوسواس ومن جميع الاضطرابات العصبية والعادات الضارة كشرب الدخان ومن العلل والآلام الجسدية وفى تقوية الذاكرة والإرادة ودراسة الفنون المغناطيسية لمن أراد احتراف التنويم المغناطيسى والحصول على دبلوم فى هذا الفن اكتب إلى الأستاذ ألفريد توما ٧١٩ شارع الخليج المصرى بمصر وارفق بطلبك ٣٠ مليماً طوابع المصاريف فتصلك التعليمات مجاناً .